



القول المليح

— من فوائد —
قصة الذبيح

الشيخ
أبو عبد الرحمن سمير بن أحمد الصباغ

القول المليح من فوائد قصة الذبيح

كتبه الفقير إلى عفوره الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبنولة لعموم المسلمين

١٤٤٨ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.



نبي الله إبراهيم ﷺ إمام الحنفاء، وأبو الأنبياء، وخليل الرحمن، قال الله عنه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠]، وقال عنه: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: ٣٧] فكان إمامًا في الخير يُقتدى به، ووفى بكل ما أمره الله به، وابتلاه الله بأشدّ ألوان البلاء، فصبر واحتسب، ووفى بفضل الله ورحمته.

ومن أشدّ هذه الابتلاءات أن الله تعالى بعد أن أنجاه من النار، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، وأذن له بالهجرة إلى بيت المقدس، ورزقه بالغلام الحليم إسماعيل ﷺ، وبعد أن شبّ هذا الغلام وصار في حاجة أبيه ومؤنسًا له، وتعلّق قلب إبراهيم به: أمره الله تعالى بذبح ولده الوحيد بعد أن صار قرّة عين وفلذة كبذ لأبيه، حتى لا يتعلّق قلب إبراهيم بغير الله؛ لينال المنزلة العلية من الله، ألا وهي درجة الخلّة التي هي أعظم وأعلى درجات المحبة.



وأوحى إليه بذلك في رؤيا منامية، فما كان من إبراهيم الوفيِّ القانتِ الحنيفِ إلا أن أتى بولده وقال: {يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ} ﴿١٢٢﴾ [الصافات: ١٠٢]؛ أي: أمرني الله بذبحك، فما كان من الولدِ الصالحِ الحليمِ البرِّ التقيِّ إلا أن أعان أباهُ على سرعةِ إنفاذِ ما أمر الله به.

وقال: {قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّادِقِينَ} ﴿١٢٣﴾ [الصافات: ١٠٢]، فاستسلم لأمر الله الوالد الخليل الأمة القانتِ الحنيفِ، والولدِ الحليمِ صادقِ الوعدِ المرضيِّ عندَ ربِّه، فأمره الله بالشروعِ في الذبحِ بعدَ التغلبِ على نزغاتِ الشيطانِ ووساوسِهِ، فأكبَّ إبراهيمُ إسماعيلَ لوجهِهِ، وأخذَ السَّكِينِ لينفذَ أمرَ الله، فظهرَ صدقُ محبةِ إبراهيمَ لربِّه، وصفاءُ قلبِهِ لربِّه، وخلوصُهُ له، فصارَ ذبحُ الولدِ لا فائدةَ منه، فنسخَ الله الأمرَ، وأنزلَ الرحمةَ للأبِ، والفداءَ والرحمةَ للابنِ، ونادى: {أَن يَتَابَرَهِيمُ} ﴿١٢٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي



الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
[الصفات: ١٠٤-١١٠].

وهكذا كُلُّ مَنْ استقامَ على أمرِ الله وصبرَ على أقدارِ الله واحتسبَ ورضيَ وحمدَ، فإنَّ اللهَ تعالى يجعلُ له من كلِّ ضيقٍ مخرجًا ومن كلِّ همٍّ فرجًا، ويرزقُه من حيثُ لا يحتسبُ.

وقصةُ الذبيحِ إسماعيلَ فيها منَ الفوائدِ والحكمِ والدروسِ والعبرِ والدررِ ما اللهُ بهِ عليمٌ، وهذا ما نتعرضُ له بمشيئةِ الله تعالى في هذه الرسالةِ المختصرةِ من قصصِ القرآنِ الكريمِ لاستنباطِ أهمِّ الدروسِ والعبرِ والأحكامِ من هذه القصةِ العجيبةِ، كما قال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].



نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن استقام على ملة إبراهيم ودين

محمد حنفاء مسلمين، وأن يحشرنا في زمرتهم يوم الدين، وصلى

الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول

الآيات الواردة في القصة في القرآن العظيم

قال الله تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} ٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّاتُ أَعْمَلُ مَا تُوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٣ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَابِرَاهِمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٠٨ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١٠٩ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٠} [الصافات: ٩٩-١١٠].

معاني المفردات:

- ١ - {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي}: مهاجرٌ من بلدٍ قومي إلى حيث أمرني ربي لبيت المقدس مخلصاً لربي قاصداً وجهه.



٢- {سَيَهْدِينِ}: هدايةٌ توفيقٍ وسدادٍ وإرشادٍ للحقِّ والهدى والوصول إلى حيث شاء الله.

٣- {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}: ارزقني ولدًا صالحًا يؤنسني في غربتي، ويحمل علمي ودعوتي، يريد أولادًا طائعين عوضًا عن قومٍ وعشيرته.

٤- {فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}: بمولودٍ ذَكَرٍ، سيعيش طويلاً ويكون حليماً عظيماً.

٥- {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ}: ترعرع وشبَّ وبلغ السنَّ الذي يمكنه أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه قال بعض أهل التفسير: سنَّ الثالثة عشر.

٦- {يَبْنِي}: كلمةٌ تدلُّ على الرحمة والشفقة والحب الذي بين الوالد وولده.

٧- {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}: أوحى الله إليَّ في المنام يأمرني بذبحك.



٨- {فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى}: يشاورُ ولدَه عن رأيِه في ذلك.

٩- {قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ}: أنفذ أمر الله على وجه

السرعة، وكلمة «يا أبت» دليل على إحسانٍ وأدبٍ من الولدِ لوالده.

١٠- {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّائِرِينَ}: قدّم المشيئة؛

ليعيّنه الله على الطاعة وإنفاذ الأمر، والصبرُ خلقٌ يحملُ على تقوى الله وتحملُ المشاقَّ في سبيلِ الله.

١١- {فَلَمَّا أَسْلَمَا}: استسلما وانقادا لأمر الله.

١٢- {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}: أكبّه لوجهه؛ ليذبح من القفا؛ حتى لا

ينظرَ لوجهه فيرقَّ له ويمتنع عن إنفاذ الأمر الإلهي.

١٣- {وَنَادَيْنَاهُ}: سمعَ نداءً من السماء من قبل الله تعالى.

١٤- {أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا}: أي: قد نفذت ما

أمركَ الله به.



القول المليح من فوائد قصة الذبيح

١٥- {إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}: نجازي الطائعين

المخلصين، ونفرضُ كربهم.

١٦- {الْبَلَاءُ الْمُبِينُ}: الابتلاء والامتحان الشاقُّ الواضحُ

الذي يُمَيِّزُ الخبيثَ من الطيبِ.

١٧- {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ}: بكبشٍ سَمِينٍ فداه اللهُ به؛ أي:

أنجاه من القتل، وذبح مكانه هذا الكبش.

١٨- {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ}: أبقينا سيرته في الناسِ بالذِّكرِ

والثناءِ الحسنِ إلى يومِ الدين.

١٩- {سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ}: تحيةٌ من اللهِ بالسلامِ والأمانِ

والخيرِ على إبراهيمَ الخليلِ الكريمِ.

٢٠- {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}: الموقنين الصادقين

المنقادين لرَبِّهم.



٢١- {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ}: بَشَّرَهُ اللهُ بولِدٍ

آخرَ مكافأةً لَهُ على صبرِهِ وانقيادهِ ومحبتِهِ لربِّهِ، أبقى لَهُ إِسْمَاعِيلَ وخلفَ عَلَيْهِ بِإِسْحَاقَ يَكُونُ نَبِيًّا مرسلاً؛ شُكراً لِإِبْرَاهِيمَ على طاعتهِ لربِّهِ.

٢٢- {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ}: أَفَضْنَا عَلَيْهِمَا مِنَ الْبَرَكَةِ

والخيرِ ديناً ودنياً.

٢٣- {وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}: الْمُؤْمِنُ

المتَّبِعُ لهدى آبائِهِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْكَافِرُ الْمُعَانِدُ الْمُخَالَفُ لَهُمْ، وَلَا تَزُرُ وَاظِرَةً وَزَرَ أُخْرَى.



المبحث الثاني المعنى الإجمالي للقصة وأحداثها

أرسل الله نبيه وخليفه إبراهيم ﷺ إلى أهل العراق، فناظر عبادة الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وأقام عليهم الحجة، ودعاهم إلى توحيد الله، ثم دعا الآخرين عبادة الأصنام وناظرهم، وأقام عليهم حجة الله تعالى، فعجزوا أمامه عن أن يحاجوه، وأصرُّوا على كفرهم بعد بيان الحق لهم، فاتفقوا على قتله بأشنع قتله؛ بأن ينوا له بنياناً ويشعلوا فيه النار، ويحرقوه فيه وهو حي؛ ليكون ذلك أشدَّ في العذاب والنكال به، ويكون عبرةً لغيره ممن يريد التوحيد.

فأنجاه الله من النار، وقال: {يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٦٩]، وأمره بالهجرة إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أرض بيت المقدس؛ ليتمكن من عبادة ربه، وإظهار دينه، وإقامة شعائره والدعوة إلى الله تعالى، فقال: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ} [الصافات: ٩٩].

وقال: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [٩٩]



[العنكبوت: ٢٦].

فخرج من بلده وقد فارق الأهل والمال والدار، فتمنى من الله أن يرزقه أولاداً صالحين مطيعين لربهم مسلمين موحدين يكونون عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم مؤنسين له في حياته، وسنداً له في دعوته، وخلفاً له في العلم النافع والعمل الصالح، يحملون علمه ودعوته، ويرثون ميراث النبوة والرسالة، ويكونون دعاة إلى الله تعالى، فقال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾} [الصفات: ١٠٠]، {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿١٣١﴾}

[إبراهيم: ٤٠].

فاستجاب له ربه وبشره بإسماعيل الغلام الحليم الصبور البارّ العقول المؤمن التقى الذكى النقي، وذلك بعد ستّ وثمانين سنة من عمره، فلما شبّ إسماعيل ﷺ وترعرع وصار في كتف أبيه وسنداً له في الكسب وقضاء الحوائج، وصار لإسماعيل تعلق بقلب أبيه، أوحى الله إلى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده الوحيد الحبيب إسماعيل ابتلاء واختباراً له، وتصفيه لقلبه ألاّ يقدم محبة



أَحَدٍ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ؛ لِيَصِلَ إِلَى الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ،
أَلَا وَهُوَ دَرَجَةُ الْخُلَّةِ مِنَ اللَّهِ لَهُ.

فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ ﷺ بَوْلَدِهِ الْحَلِيمِ الرَّحِيمِ الْبَارِّ الَّذِي رَبَّاهُ اللَّهُ أَحْسَنَ
تَرْبِيَةٍ، وَقَالَ لَهُ: {يَبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَىٰ} قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢].

أَي: مَا رَأَيْكَ يَا بَنِي؟ فَكَانَ الْجَوَابُ سَرِيعًا بَلَا تَرَدُّدٍ مِنَ الْعَبْدِ
الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ الْحَلِيمِ: {قَالَ يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ}؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ
أَمْرُ اللَّهِ، فَاسْرِعْ بِالذَّبْحِ، وَأَنْفِذْ أَمْرَ اللَّهِ، وَقَدِّمْ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ
مَحَبَّةٍ، {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}، سَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ
تَعَالَى فِي الصَّبْرِ عَلَى قَضَائِهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ وَإِنْفَاذِ أَمْرِهِ.

فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ وَمَعَهُ السَّكِينُ الَّذِي سَيَذْبَحُ بِهَا
إِلَى مِنِّي؛ لِيَذْبَحَهُ بَعِيدًا عَنْ أُمِّهِ، فَتَعَرَّضَ لَهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ؛



لِيُثْنِيَهُ عَنْ إِنْفَازِ أَمْرِ اللَّهِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَرْجُمُهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ بِسَبْعِ حَصَيَّاتٍ، ثُمَّ يَمْضِي لِإِنْفَازِ أَمْرِ اللَّهِ.

ثُمَّ أَضْجَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَهُ، وَأَكْبَهَ عَلَى وَجْهِهِ؛ لِيَذْبَحَهُ مِنْ جِهَةٍ قَفَاةً؛ حَتَّى لَا يَرِيقَ قَلْبُهُ لَوْلَدِهِ إِذَا رَأَى وَجْهَهُ، وَأَخَذَ السَّكِينَ لِيَذْبَحَ، فَتَبَيَّنَ صَدَقَ مَحَبَّةِ إِبْرَاهِيمَ لِرَبِّهِ فَوْقَ كُلِّ مَحَبَّةٍ، وَصَفَاءُ قَلْبِهِ لِرَبِّهِ، فَصَارَ الذَّبْحُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، فَنَسَخَ اللَّهُ أَمْرَ الذَّبْحِ، وَنَادَاهُ اللَّهُ: {أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّعْيَاءُ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾} [الصافات: ١٠٤-١٠٥].

فهذا هو البلاء الشديد الواضح، وقد نجحت في الاختبار، وفداهُ الله بكبشٍ عظيمٍ، نظرَ إِبْرَاهِيمُ فوجدَ كبشًا عظيمًا، أرسله الله إليهما لِفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ، فَذَبَحَ الْكَبْشَ، وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ الْحَلِيمُ؛ لِيَكُونَ خَلْفًا لِأَبِيهِ فِي النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ وَإِقَامَةِ الدِّينِ، وَيَكُونَ مِنْ نَسْلِهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ الْمُرْسَلِينَ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

ولما صبرَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ عَلَى قَضَاءِ رَبِّهِ عَلَيْهِ، وَاتَّقَى وَاسْتَسْلَمَ هُوَ



وولده، وانقادا لأمر الله، شكر الله لهم سعيهم، وجزاهم على بذلهم
وتضحيتهم أعظم الجزاء في الدنيا والآخرة، وأبقى الله إسماعيل،
وبارك في ذريته إلى يوم الدين، وخلف الله على إبراهيم بولد آخر:
{غَلَامٍ عَلِيمٍ} وهو إسحاق ؑ، وبارك فيه، وجعل جميع الأنبياء
من نسله إلى عيسى ؑ، فكلُّ مَنْ أتى من الأنبياء والرسل بعد
إبراهيم من أولاده ونسله وذريته، فصار أبا الأنبياء، وجعله الله
{أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ
أَجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٢١ وَعَاطَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَأَتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّلَاحِينَ} ١٢٢ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

وأثنى عليه بالثناء الحسن والذكر الجميل، وأمرنا باتباع شرعه
ودينه، {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ} ١٢٣ [النحل: ١٢٣].

وهذه سنة الله في عباده الموحدين الداعين إلى التوحيد والسنة
المخلصين لله تعالى، يتليهم الله ويصبرون؛ ليخلصهم له،
ويرفعهم عنده، ويرزقهم بركة الدنيا والآخرة.



فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا
بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.



المبحث الثالث

الدروس والعبر والفوائد من القصة

اشتملت قصة الذبيح إسماعيل عليه السلام على فوائد وأحكام كثيرة، نذكر منها ما يأتي:

١ - حفظ الله ونصره لعباده الموحدين الداعين إلى التوحيد والسنة، كما فعل الله بإبراهيم عليه السلام، حفظه وهو في قلب النار، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، وأنجاه منها، وجعله معززًا مكرَّمًا، ومن قدر الله له من أهل التوحيد الموت والشهادة في سبيله على يد الكفار فهو في أعلى المنازل، ولا يجد من الألم إلا مثل مس القرصة؛ لقول النبي ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ، إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٧٩٥٣)، والترمذي (١٦٦٨).



٢- قُوَّةُ يَقِينِ الْمُؤْمِنِ بِرَبِّهِ وَحَسَنُ ظَنِّهِ بِاللَّهِ: فهذا إبراهيمُ ﷺ لَمَّا

وجدَ ما وجدَ من قومِهِ قَالَ: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ} ﴿٩٩﴾
[الصفات: ٩٩]، فخرجَ مهاجراً إلى رَبِّهِ، إلى الأرضِ التي باركَ اللهُ فيها
للعالمينَ أرضَ بيتِ المقدسِ؛ لِيَتِمَّكَنَ من عِبَادَةِ رَبِّهِ والدُّعْوَةِ إِلَيْهِ،
وهو حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، موقناً بتوفيقِ اللهِ له، ولهذا قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا
عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(١). فوقَّ اللهُ إبراهيمَ، وجعلَ له أُمَّةً ودعوةً،
ورزقه الأولادَ الصالحينَ، وجعلَ جميعَ الأنبياءِ من بعده من ذريته،
وفتحَ له أبوابَ الخيرِ إلى أن لقيَ رَبَّهُ بمدينةِ الخليلِ قَرَبَ بَيْتِ
المقدسِ، وَقَالَ اللهُ فِيهِ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ
يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَلَهُ وَهَدَنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَاقِبَتُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

٣- أَنَّ مَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي أَرْضٍ فَإِنَّهُ يَهَاجِرُ مِنْهَا لغيرِها، فيجدُ في

الأرضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً، قَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).



اللَّهُ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ
مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى
اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ [النساء: ١٠٠].

فإبراهيم ؑ لما ضُيقَ عليه في أرضِ العراقِ هاجرَ بإذنِ ربِّهِ إلى
الأرضِ المباركةِ بيتِ المقدسِ، فجعلَ اللهُ الفرجَ والمخرجَ والخيرَ
الكثيرَ والرزقَ الوفيرَ من خيرِ الدنيا والآخرةِ، وقالَ لقومه:
{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا
أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾} فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ
رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾} [مريم: ٤٨-٥٠].

ونظيرُ ذلكَ ما جرى لسيدِ الخلقِ محمدٍ ﷺ، حينَ همَّ قومه
بقتله، فأذنَ اللهُ له في الهجرةِ إلى يثربَ، فبسطَ اللهُ له من رزقِ الدنيا
والآخرةِ، وجعلَ له أصحابًا وأنصارًا ودولةً قائمةً على الكتابِ
والسنةِ إلى يومِ الدينِ.



٤- من اعتزل الشُّركَ وأهله، والبدعةَ وأهلها، والمعصيةَ وأهلها، جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب؛ قال اللهُ عن إبراهيم: {فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُوَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٤٩} [مريم: ٤٩-٥٠].

وهؤلاء أصحابُ الكهفِ لما أصرَّ قومُهم على الكفرِ وتوعَّدوهم بالقتلِ والتشريدِ اعتزلوا الشُّركَ وأهله، فحفظَهم اللهُ، وتكفلَ بهم، وكان من أمرهم ما كان^(١).

٥- جوازُ تمنِّي الولدِ والذرية، ذكورًا كانوا أو إناثًا، وأن يكونوا صالحين؛ قال إبراهيم: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠} [الصافات: ١٠٠] وقال زكريا: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ

(١) انظر بحثًا للمؤلف بعنوان «قصة أصحاب الكهف»: <https://www.alukah.net/library/162406>.



سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ {آل عمران: ٣٨}، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ {الأنبياء: ٨٩}.

وقال: {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثْنِي وَيَرِثْ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾} [مريم: ٥-٦].

وفيه جواز تحديد جنس المولود بالذكر أو الأنثى، فإبراهيم وزكريا تمنيا من الله ودعوا الله أن يرزقهما بالأبناء الذكور على وجه التحديد، والتحكم في جنس المولود بالوسائل الحديثة من العلم الذي منحه الله لخلقه، فإذا كان من الجائز شرعاً سؤال الله نوعاً معيناً من الأولاد، فيجوز تحديد جنس المولود.

٦- أثمر الدعاء في صلاح الأبناء: للدعاء أعظم الأثر في صلاح الأبناء؛ لأن الذي يربي على الحقيقة ويصلح الذرية ويهديها هو الله وحده لا شريك له، فهذا إبراهيم ؑ قال: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾} [الصافات: ١٠٠]، فوهب الله له إسماعيل الغلام الحليم الذي صيره الله نبياً مرسلاً والذي من نسله خير الخلق وخاتم النبيين وزينة المرسلين محمد ﷺ، وأثنى عليه بقوله:



{وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾} [مريم: ٥٤-٥٥].

ثم وهبه من بعده إسحاق الغلام العليم، ومن وراء إسحاق يعقوب، ثم يوسف حتى عيسى ابن مريم، وهذا زكريا ﴿٣٨﴾ قال: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾} [آل عمران: ٣٨].

فوهبه الله يحيى الذي قال الله عنه: {يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾} [مريم: ١٢-١٤]، وقال الله عنه: {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾} [آل عمران: ٣٩].

وهذه أم مريم قالت: {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾} فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ



وَأَنْتَبَهَتْهَا نَبَأًا حَسَنًا وَكَقَلِّهَا زَكْرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا
 الْحِرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَمْرِئُ مِثْلِي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ
 عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا
 زَكْرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ
 الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ [آل عمران: ٣٦-٣٧].

وَمِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لِلْوَالِدَيْنِ أَنْ جَعَلَ لَهُمَا دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً
 لِأَوْلَادِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ، لَا شَكَّ
 فِيْهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»^(١).
 وَفِي رِوَايَةٍ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ، دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ،
 وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ»^(٢).

فِينبغي على الوالدين أن يستثمرا هذه الدعوة لهداية الأولاد
 وإصلاحهم.

(١) أخرجه أحمد (٧٥١٠)، وأبو داود (١٥٣٦)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٣٩٢).



٧- **فضل الدعاء:** الدعاء من أجل العبادات التي أمر الله بها في الكتاب والسنة، فقال: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، وقال: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف: ٥٥]، وقال النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١).

والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ،

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٩١)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، والترمذي (٣٣٧٣)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وصححه الألباني.



وَمَا أَنْ يَدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»
قَالُوا: إِذَا نَكْثَرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(١).

وقال سبحانه: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} {٦٢: النمل}

فالدعاء دَلٌّ على وجودِ السميعِ البصيرِ المُجيبِ القريبِ
الرؤوفِ الرحيمِ، الدعاءُ يدلُّ على وجودِ الله، وأنه فوقَ السمواتِ
السبعِ، وأنه سبحانه هو الغنيُّ وجميعُ الخلقِ فقراءٌ إليه، وكلُّهم
محتاجونَ إليه، ويدلُّ على أنه لا معبودَ بحقٍّ إلا الله، فهو الخالقُ
الرازقُ المعطيُّ الوهابُ السميعُ المجيبُ القريبُ وحده لا شريكَ
له، ومن أعظمِ آدابه التوسُّلُ إليه سبحانه بأسمائه وصفاته، {وَلِلَّهِ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} ^ط [الأعراف: ١٨٠].

(١) أخرجه أحمد (١١١٣٣).



ومن آدابه: سؤال الله بأسمائه بحسب ما يقتضيه المقام، فهنا إبراهيم سأل الله باسم (الرب) وبصفة الربوبية؛ لأنه موضع يفترق فيه إلى الربوبية؛ إذ الرب هو القائم على هدايته المدبر لأمره.

ومن آدابه الافتقار إلى الله والتذلل إليه بخشوع وخضوع والتودد إليه، وهذا بمعنى قوله سبحانه: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]، ولهذا قال إبراهيم: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات: ٩٩].

٨- وجوب اهتمام وعناية الآباء بصلاح الأبناء بالتربية الطيبة على منهج الله ورسوله؛ وهذا يستلزم:
أ- وجوب تعلم الآباء كيفية تربية الأبناء^(١).

ب - وجوب استقامة الآباء؛ ليستقيم الأبناء، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ

(١) انظر بحثاً للمؤلف بعنوان «قبس من هدي النبي الأمين في تربية أبناء المسلمين»: <https://www.alukah.net/library/183380/0>.



يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُ الْبَهِيمَةَ بِهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُ فِيهَا مِنْ
جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا...} [الروم: ٣٠] الآية^(١).

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ} [البقرة: ١٧٠]، وقال تعالى: {وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا
مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا} [النساء: ٩].

ج- تعليم الأبناء القرآن والسنة للاستقامة على نهجهما، فيعلم
الأولاد التوحيد، وفقه العبادات والمعاملات، والسلوك،
والأخلاق.

٩- الولد بشرى من الله ومحض هبة من الله: قال تعالى
{فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} [الصافات: ١٠١] وهو إسماعيل رضي الله عنه،

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).



وقال: {وَكَيْشَرُوهُ بِعُلَمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾} [الذاريات: ٢٨] في حقِّ إسحاق عليه السلام.

فالواجبُ على العبد أن يقبل هبةَ الله وبُشْرَاهُ بالقبولِ الحسنِ بالشكرِ والرضا وحسنِ التربيةِ لهذا الموهوبِ من الله.

وأما مَنْ بُشِّرَ بحمل فتسخَّطَهُ وسعى في إجهاضِهِ والقضاءِ عليه فهذا كافرُ النعمةِ وقاتلٌ للأنفسِ، وأشدُّ منه الذي يتسخَّطُ المولودَ الأنثى، قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾} [النحل: ٥٨].

فيحرِّمُ إجهاضَ الأجنةِ المشوَّهينَ وغيرِ المشوَّهينَ، ولا يجوزُ الإجهاضَ إلا إذا كانَ هناكَ خطورةٌ على حياةِ الأم^(١).

١٠ - فضلُ صفةِ الحلم: وصفَ اللهُ إسماعيلَ بأنه حليمٌ، وقد تجلَّى ذلكَ في أخلاقِهِ وفي برِّهِ لوالديه، وفي قصةِ الذبيح؛ حيثُ قال: {قَالَ يَبَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾} [الصافات: ١٠٢]. وقال اللهُ عنه: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ

(١) انظر بحثاً للمؤلف بعنوان «القول المبين في أحكام إجهاض الأجنة المشوَّهين وغير المشوَّهين»: <https://www.alukah.net/library/0/165718/>.



إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ { [مريم: ٥٤-٥٥].

وقال ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ، الْحِلْمُ
وَالْإِنَاءُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا، أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟
قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى
خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١).

فَالْحِلْمُ يَشْمَلُ وَيَتَضَمَّنُ الصَّبْرَ وَحُسْنَ الْخَلْقِ وَسَعَةَ الصَّدْرِ
وَالْعَفْوَ عَمَّنْ جَنَى وَالرَّجُولَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالصَّدْقَ وَالْكَرَمَ وَالْعِفَافَ.

١١ - استشارة الآباء للأبناء من هدي المرسلين، وصحبة الآباء

للأبناء من هدي النبيين والصالحين: قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ لَوْلِيهِ
إِسْمَاعِيلَ: {يَبْنِيْ اِنِّىْ اَرَى فِى الْمَنَامِ اَنِّىْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى
قَالَ يٰاَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللّٰهُ مِنَ الصّٰبِرِيْنَ
﴿١٢﴾ { [الصافات: ١٠٢].

وأما الجهلة والقساء فمنهجهم منهج فرعون الذي قال: { قَالَ

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٢٥)، وحسنه الألباني.



فَرَعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾
[غافر: ٢٩].

١٢- مشاورۃ الأكابر لِمَن دونهم من هَدْيِ القرآنِ والسُّنة: قَالَ
اللهُ تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾} [آل عمران: ١٥٩].

وقد شاورَ النبي ﷺ أصحابه وأزواجه كما أخذَ بمشورة
الصحابية في الخروج لأحد، كما شاورَ أم سلمة في الحديبية، وهذا
من أعظم وسائل تربية الأولاد على الرجولة وتحمل المسؤولية.

وإنما أعلم إبراهيم ولده إسماعيل بذلك وشاوره؛ ليكون أهونَ
عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة
أبيه.

١٣- وجوبُ رحمة الآباء بالأبناء في الخطاب والتعامل
والتربية: فهذا إبراهيم عليه السلام يقول لابنه: {يَبْنَى} وهذا منهج الأنبياء



في التربية، فهذا رسول الله محمدٌ يقولُ الله في حقِّه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، ويقول: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران: ١٥٩].

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جَاءَ أَعرَابِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تَقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا نَقَبْلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» ^(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةَ

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٨).



مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ»^(١).

وقال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢).

وليست رحمة الآباء بالآبناء مقصورة على سنّ الطفولة أو تقبيل الأولاد ومداعبتهم فحسب، وإنما في كل شيء، ومن تأمل سيرة نبي الله إبراهيم علم أنه كان حليماً رحيماً في كل أحواله، ويكفي أن الله تعالى قال عنه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [١٢٠-١٢١]، وقال تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: ١١٤]، فكان حليماً مع والده الكافر، حليماً مع أزواجه، حليماً مع أولاده وأحفاده، حليماً بأمته، {وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٧).

(٢) أخرجه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وصححه الألباني.



وَفِيَّ ٣٧} [النجم:٣٧]، وكذلك مَنْ تَأَمَّلَ سِيرَ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا وَجَدَ أَنَّ دَعْوَتَهُمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَتَرْبِيَّتَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ وَأُمَمِهِمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ سَيِّدُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

١٤- وجوبُ إحسانِ الأبناءِ للآباءِ وتوقيرهم لهم: فهذا إسماعيلُ يقولُ: {يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ} [الصفات:١٠٢]، ففيهِ أعظمُ الدلالةِ على البرِّ والإحسانِ والإكرامِ مِنَ الْوَلَدِ لِأَبِيهِ، وَهَذَا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ مِنْ إسماعيلَ تَعَلَّمَهُ مِنْ أَبِيهِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ مُحَسَّنًا رَحِيمًا بِأَبِيهِ الْكَافِرِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ مِنْ ثَنَاءِ اللَّهِ الْعَطِرِّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} ١١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ١٢ يَتَأَبَّتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ١٣ يَتَأَبَّتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ١٤ يَتَأَبَّتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ١٥ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَابِرُهُمْ



لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ ۖ
سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا
﴿٤٨﴾ {مريم: ٤١-٤٧}.

وهذا هو الذي أمر الله به الأبناء تجاه الآباء في القرآن العظيم،
فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال
سبحانه: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

١٥- اَعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ
أَبْنَاؤُكُمْ؛ إبراهيم عليه السلام عامل أباه الكافر بقمة الإحسان والشفقة،
وهذا إسماعيل كان باراً تقياً لربه ولوالديه، وبمجرد أن قال له
إبراهيم: ﴿يَبْنِي إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾
قال إسماعيل: ﴿يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].



ولهذا قال النبي ﷺ: «كُلُّ ذَنْبٍ يُؤَخِّرُ اللَّهَ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا الْبَغْيُ، وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ، يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَوْتِ»^(١). والبغي: هو الظلم والجور.

١٦- **رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحِيٍّ**: لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ فِي التَّخِيلِ سَبِيلٌ، وَلَا لِلَاخْتِلَافِ عَلَيْهِمْ دَلِيلٌ، وَإِنَّمَا قُلُوبُهُمْ صَافِيَةٌ، وَأَفْكَارُهُمْ صَقِيلَةٌ، فَهُمْ مَعْصُومُونَ بِعَصْمَةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَلِهَذَا رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحِيٍّ»^(٢).
فَقَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لَوْلَدِهِ: {يَبْنِيْ اِىَّ اَرَى فِى الْمَنَامِ اَتَى اَذْبَحُكَ فَاَنْظُرْ مَاذَا تَرَى} : فَهَذَا مُحْضٌ وَحِيٍّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَلِهَذَا لَمَّا شَرَعَ إِبْرَاهِيمُ فِي ذَبْحِ وَلَدِهِ قَالَ اللَّهُ: {وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٢٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾}

[الصفات: ١٠٤-١٠٦].

وَأَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ: الرُّؤْيَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨).



الصادقة، كما ورد في حديث عائشة عند البخاري ومسلم، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»^(١).

ولهذا قال الله تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا} {الفتح: ٢٧}.

١٨ - فضل تقديم المشيئة في كل شيء: فكلُّ شيءٍ بمشيئةِ الله وحده، ولا يقع في ملكِ الله إلا ما يريد، ولهذا قال إسماعيل عليه السلام: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} {الصفات: ١٠٢}، وقال الله: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا} {٣٣} إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وقال سبحانه: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} {الإنسان: ٣٠}.

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).



وبنو إسرائيل لم يُوفَّقوا لذبح البقرة التي أمرهم الله بها على
لسان موسى ﷺ إلا بعد أن قالوا: {وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾}
[البقرة: ٧٠].

فتقديم المشيئة سبب للتوفيق، وعدم تقديمها سبب لعدم
التوفيق، فهذا نبي الله سليمان بن داود نوى نية طيبة أن يطوف على
جماعة من نسائه في ليلة؛ لتنجب كل واحدة منهن فارساً يقاتل في
سبيل الله، ونسي أن يقول: «إن شاء الله»، فعوقب بالحرمان منهم
جميعاً، ولو قال: «إن شاء الله» لجاهدوا في سبيل الله أجمعين، فعن
أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَا طُوفَنَ
الَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا
وَاحِدًا، سَاقِطًا أَحَدُ شَقِيهِ»، فقال النبي ﷺ: «لَوْ قَالَهَا لَجَاهِدُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٤)، ومسلم (١٦٥٤).



وإسماعيل عليه السلام قال لأبيه: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ} [الصفات: ١٠٢]، فوفقه الله لطاعته بالاستسلام لأمره، فكان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً.

١٩ - فضيلة الصبر على البلاء: الصبر سرُّ نجاح العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، فلا طاعة إلا بالصبر، ولا بُعد عن المعاصي إلا بالصبر، ولا تحمل للبلاء إلا بالصبر، فبالصبر يبلغ الإنسان المآرب، ويصل إلى خيري الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠]، وقال: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾} [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالله تعالى يُثني على الصابرين في الملائ الأعلى، وليس للصبر جزاء إلا الجنة، ويُعطى الصابرون من الحسنات والأجور بغير



حساب، والصبرُ هو أعظمُ عطاءٍ يعطيه اللهُ للعبد، قال رسول الله ﷺ: «وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

ويرفع اللهُ به الدرجاتِ ويكفرُ به السيئاتِ، «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُّهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢).

ولهذا قال النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٣).

٢٠- وجوبُ الانقيادِ والتسليمِ والرضا لأحكامِ الله وأوامره: قال إسماعيلُ رضي الله عنه: {يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ}، فالمسلمُ كاملُ الإسلامِ والمؤمنُ كاملُ الإيمانِ هو الذي يسمعُ ويطيعُ لأوامرِ ربِّه على الفور، ويكونُ وقافًا عندَ حدودِ الله، قال اللهُ تعالى: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).



الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ [النور: ٥١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥]، وَقَالَ: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾} [الأحزاب: ٣٦].

وهذا ما فعله نبي الله إسماعيل عليه السلام، وكذا إبراهيم عليه السلام إذ قال: {يَبْنَئِي إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْلَى مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٤﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرَاهِيمَ ﴿١٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾} [الصافات: ١٠٢-١١٠].

وهذا هو معنى الإسلام، وهو الاستسلام والانقياد والذلُّ



والخضوع والتواضع لأوامر الله رب العالمين.

٢١- التخلُّص من الصوارف عن طاعة الله: إبراهيم حين همّ

بذبح إسماعيل تله على جبينه؛ ليذبحه من قفاه؛ حتى لا يرقّ لولده، فيصرف عن طاعة مولاه، والأمر كله محض اختبار وامتحان من الله للخليل إبراهيم الذي ازداد بهذا البلاء نصاعة ومحبةً وجمالاً، قال ابن القيم: «إذا أقبل العبد على طاعة بعث الله له صوارف؛ ليتبين صدقه، فإذا جاهد وصبر عادت الصوارف في حقه معاونات على الطاعة».

أمر الله إبراهيم بذبح ولده، فأسرع بتنفيذ الأمر هو وولده، وأراد الشيطان أن يصرفه عن ذلك، فرجمه ثلاث مرات، وحتى لا يصرفه عن إنفاذ أمر ربه النظر إلى وجه ولده، كفه لوجهه ليذبحه من قفاه طاعة لله، وتقديمًا لمحبتة على كل محبة، فتخلص من عاطفة الأبوة وزينة البنية، وصبر على ذلك، واحتسب طاعة لربه وإليه، فأحسن فيما بينه وبين ربه أتم الإحسان، فشكر الله له، وأحسن إليه، وحوّل المحنة لمنحة، وأغدق عليه من النعم



والأفضال، فنجى الولد والوالد، وحلاهما بتاج الكرامة والعزة والوقار، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ يُصلي في خميصه ذات أعلام، فنظر إلى علمها، فلما قضى صلاته قال: «اذهبوا بهذه الخميصه إلى أبي جهم بن حذيفة، وأتوني بأنبجانيه، فإنها ألهني أنفا في صلاتي»^(١).

فكل ما يشغل عن العبادة ينبغي التخلص منه.

٢٢- جواز نسخ الحكم قبل التمكّن من الفعل: الله جلّ وعلا له الخلق والأمر، وله الحكمة البالغة في جميع أوامره ونواهيه وأحكامه وأقداره، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وقد يأمر بأمر ثم ينسخه لحكمة، ومن حكمة الله في نسخ بعض الأحكام والأوامر ما يأتي:

أ- إظهار امتثال العباد لأوامر الله تعالى.

^(١) أخرجه مسلم (٥٥٦).



ب- التخفيفُ على العبادِ، وهذا هو الغالبُ.

ج- التدرُّجُ في الأحكامِ كمراحلِ تحريمِ الخمرِ.

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا،
فاستجابَ إِبْرَاهِيمُ وولده، وامتثلاً أَمَرَ اللَّهُ بِكَامِلِ الاستسلامِ، ثُمَّ
نَسَخَ اللَّهُ الْأَمَرَ بَعْدَ الذَّبْحِ، فامْتَثَلَ إِبْرَاهِيمُ، فَكَانَ هَذَا النِّسْخُ لِيَانِ
الامْتِثَالِ، وَكَانَ التَّخْفِيفُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْمَنْ عَلَيْهِمَا
مَنْ اللَّهُ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ، وَحَثُّهُمْ عَلَى الْمُبَالِغَةِ فِي
شُكْرِهِ وَتَمَجِيدِهِ، وَتَحْيِيْبٍ لَهُمْ فِيهِ وَفِي دِينِهِ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ:
{ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة: ١٠٦].

ونظيرُ هذا النَّسْخِ لِلْحَكْمِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْفِعْلِ قَوْلُهُ تَعَالَى:
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ } [١٢] عَاشَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَتِ



فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ [المجادلة: ١٢-١٣].

٢٣- أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ: الابتلاءُ سُنَّةٌ ربَّانِيَّةٌ

في الخلق، قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ} وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾
[البقرة: ١٥٥]، فكلُّ مكلَّفٍ لَهُ بلاءٌ في هذه الدنيا، وهذا الابتلاءُ لَهُ

حِكْمٌ كثيرةٌ وردت في الكتابِ والسنة، نذكرُ منها ما يأتي:

١- حصولُ الأجرِ ورفعةُ الدرجاتِ.

٢- تكفيرُ الذنوبِ والخطايا والسيئاتِ.

٣- تحقيقُ العبوديةِ لربِّ الأرضِ والسمواتِ.

٤- تهيئةُ المؤمنينَ للتمكُّنِ في الأرضِ، فلا يُمكنُ العبدُ إلا بعدَ

بلاءٍ وصبرٍ.

٥- كسرُ الكِبَرِ والغرورِ والعُجبِ بالنفسِ عندَ كثيرٍ منَ الناسِ.



٦- إظهار معادن الناس ودرجة إيمانهم.

٧- تربية الرجال والأجيال على تحمّل المشاق.

وما من نبي ولا صالح إلا كان بلاؤه أشد من غيره، عن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت: يا رسول الله؛ أي الناس أشدّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل من الناس، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقةٌ خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»^(١). ولما كان نبي الله إبراهيم من أكمل الناس إيماناً كان من أشدّ الناس بلاءً حتى قال الله: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُمِينُ} [الصافات: ١٠٦] في الأمر بذبح ولده بيده، ومن قبل بلاؤه بالمشرّكين الذين ألّفوه في النار، وغير ذلك فصبر واحتسب ورضي، فنال من الله درجة الخلّة التي هي أعظم مراتب المحبة.

(١) أخرجه أحمد (١٤٨١)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وحسنه الألباني.



٢٤- **المنحة بعد المحنة، والفرج بعد الشدة:** الابتلاء يبدأ في

ظاهره محنة وشدة، فإذا صبر العبد واحتسب واتقى الله وحمده، فإنَّ المحنة تتحول لمنحة عظيمة وفرجاً جميلاً، وهذه سنة الله في الخلق، قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، يَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». فهذا نبيُّ الله إبراهيم يبتليه ربُّه ببلاءٍ مبین بالأمرِ بذبح ولده الوحيد آنذاك، فيستجيب لأمرِ ربِّه هوَ وولده، ويستسلما لأمرِ الله، فيأتيهم الفرجُ من الله بعد الشدة والمنحة بعد المحنة، {وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٧﴾} [الصافات: ١٧٧]، {وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَبَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾} [الصافات: ١١٢-١١٣].

فدى الله الولد وأنجاه من القتل، وأخلف الله بولدٍ آخر، وجعله نبياً مُرسلاً، وأباً لمن يأتي من بعده من الأنبياء حتى عيسى ابن مريم، وطرح الله البركة فيهم جميعاً، وهذا في جميع الصابرين على



البلاء الحامدين لربهم على كل حال الراضين بما قسم الله لهم،
قال النبي ﷺ: «وَاعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ،
وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

وقال الله: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝}

[الشرح: ٥-٦].

٢٥- التزام الطاعة له أعظم الأثر في النجاة من المهالك،

وصنائع المعروف تقي مصارع السوء: قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢-٣].

فهذا نبي الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، يقول الولد

لأبيه: {أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ}؛ أي: نفذ أمر الله، وكلاهما أسلما أمرهما

الله، وتل إبراهيم ولده على جبينه، وهم بالذبح؛ طاعة لله وتقديمًا

لمحبته على كل محبة، فكانت النجاة والحياة السعيدة والفرج من

الله الكريم الوهاب والفداء المبارك للولد الصالح البار التقى.

وهكذا إذا استقام العبد على منهج الله ولم يقدم هواه على شرع

الله، وأتبع سنة رسول الله ﷺ، فإن الله تعالى يجعل له من كل هم



فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤} [الطلاق: ٤]، وقال سبحانه: {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝١٢٣} [طه: ١٢٣]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤} ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥} [الطلاق: ٤-٥]، وقال: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٦} [الأعراف: ٩٦]، وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢٩} [الأنفال: ٢٩].

٢٥- الذَّبْحُ الْعَظِيمُ: كَانَ عَظِيمًا مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ كَانَ فِدَاءً لِإِسْمَاعِيلَ، وَمِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَمِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ كَانَ قَرْبَانًا وَسُنَّةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.



٢٦- منزله نبي الله إبراهيم عند ربه، وثناء ربه عليه، وإبقاؤه

لذكره ومجبة الأمم له، وكذلك إسماعيل عليهما السلام: أثنى الله على عبده ورسوله إبراهيم أعظم الثناء، وأحبه أعظم المحبة من الخالق للمخلوق، فقال سبحانه: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]

وقال: {وَأُذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [مريم: ٤١]؛ أي: اذكره بالثناء الحسن والذكر الجميل، وقال: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٠] وقال: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم: ٣٧] وقال:

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ} [الصافات: ١٠٨-١١٠].

كذلك نجزى

أخلاه الله ذكره بالثناء الحسن، وتمنت كل أمة أن تنسب لإبراهيم، فالنصارى تزعم أن إبراهيم كان نصرانيًا، واليهود تزعم أن إبراهيم كان يهوديًا، والمسلمون يؤمنون بأن إبراهيم كان حنيفًا مسلمًا، فقال سبحانه: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل



وقال: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ
أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾} إِذْ قَالَ لَهُ
رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾} [البقرة: ١٣٠-١٣١].

فهو أبو الأنبياء، وكلٌّ مَن جاء بعده مِنَ الأنبياءِ فهو من ذريته
وبنيه، وأما إسماعيلُ فيكفي أن الله سَمَّاهُ بالغلامِ الحليمِ، وقال عنه:
{وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا
نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ
مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾} [مريم: ٥٤-٥٥] ويكفي قوله لأبيه: {يَتَأَبَتِ أَفْعَلُ مَا
تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢].

وقد أمرنا الله بالاعتداء بهما، فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَبَهْدَاهُمْ أَفْتَدِهِ} [الأنعام: ٩٠] فهما من جملة الأنبياء والرسل الذين
أمرنا الله بالاعتداء بهم.



٢٧- رَجُمَ الشَّيَاطِينُ يَكُونُ بِالتَّزَامِ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: لَمَّا شَبَّ إِسْمَاعِيلُ أَمَرَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ؛ لِيَمْنَعَهُ، وَلَكِنَّهُ أَطَاعَ اللَّهَ وَعَصَى الشَّيْطَانَ، وَكَانَتْ أَفْعَالُ إِبْرَاهِيمَ وَأَهْلِهِ مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ، فَرَجُمَ الشَّيْطَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَابْعَدَ عَنْهُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ ﷺ الْمَنَاسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فِي الْجَمْرَةِ الثَّلَاثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ»^(١). فكلما عرض الشيطان لإبراهيم بعدم ذبح إسماعيل رجمه إبراهيم رضي الله عنه، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الشَّيْطَانُ تَرَجُمُونَ، وَسُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ تَتَّبَعُونَ».

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٧١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٦٩٣).



٢٨- **معنى التضحية:** ضحَّى إبراهيمُ بنفسِهِ من أجلِ التوحيدِ، فألقِي في النيرانِ، وضحَّى بولده طاعةً للرحمنِ ومعصيةً للشيطانِ، وضحَّى بزوجه وولده وتركهم في وادٍ غير ذي زرع طاعةً للكریم المنانِ، فالتضحيةُ هي البذلُ بالنفسِ والمالِ والعملِ لله ربِّ العالمينَ، ولهذا سُمِّيتِ الذبائحُ التي يُتَقَرَّبُ بها في أيامِ عيدِ النحرِ من بهيمةِ الأنعامِ بالأضحيةِ والضحية؛ لأنها بذلٌ وعطاءٌ وفداءٌ وتضحيةٌ دونَ مقابلٍ من الخلقِ، وإنما يبتغون وجهَ الله عزَّ وجلَّ.

٢٩- **وجوبُ الهجرةِ من دارِ الشركِ والكفرِ إلى دارِ التوحيدِ والإيمانِ،** ومن دارِ المعصيةِ والبدعةِ إلى دارِ الطاعةِ والسُّنةِ: ومنَ الشركِ للتوحيدِ، ومنَ النفاقِ للإيمانِ، ومنَ البدعةِ للسُّنةِ، ومنَ المعصيةِ للطاعةِ، ومنَ صحبةِ أهلِ الفسادِ إلى صحبةِ أهلِ الطاعةِ والصلاحِ، ومنَ الغفلةِ عن ذكرِ الله إلى اليقظةِ والهمةِ العاليةِ في طاعةِ الله، فالهجرةُ ما شُرِعتْ إلا لِيَتِمَكَّنَ المسلمُ من عبادةِ ربِّهِ وإقامةِ دينهِ، ولهذا هاجرَ إبراهيمُ من بلادِ الكفرِ بالعراقِ إلى بلادِ



الشام إلى بيت المقدس الأرض المباركة بالوحي والعلم والخيرات الدينية والدنيوية، وقال: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهَدِينَ} [الصفات: ٩٩]، وقال: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [العنكبوت: ٢٦].

وقال النبي ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يَقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ؟ قَالَ: «لَا تَرَأَى نَارَاهُمَا»^(١)، أي: لا يختلطان، فالمسلم لا يخالط المشركين في المعيشة؛ لأنَّ هذا سيعودُ عليه وعلى أهله بالسلب، بالتشبه بالمشركين والتعود بعباداتهم، والتزيي بزِيَّهم حتى يضيع دينه، ويفسد أولاده وأهله، ويلحق بهذه الهجرة الهجرة من دار البدعة إلى دار السنة، قال ابن القاسم: سمعتُ مالكا يقول: لا يحلُّ لأحد أن يقيم ببلدٍ سبَّ فيها السلفُ.

قلتُ: وهذا لمن يقيم بين الروافض في إيران والعراق ولا يستطيع أن يظهر التوحيد والسنة.

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، وصححه الألباني.



وكذلك يلحقُ به الهجرةُ من دارِ المعصيةِ إلى دارِ الطاعةِ والعلمِ والصلاحِ، كما جرى لقاتلِ المئةِ نفسٍ لما أرادَ أن يتوبَ فنصحه العالمُ بالخروجِ من دارِ المعصيةِ إلى دارِ الطاعةِ، ومن صحبةِ أهلِ الفسادِ إلى صحبةِ أهلِ العلمِ والصلاحِ.

٣٠- مشروعيةُ الهجرةِ والفرارِ من المكانِ الذي يكثرُ فيه الأعداءُ ويخشى من الأذى في الدينِ والبدنِ والأهلِ والأولادِ: وذلك أنَّ إبراهيمَ ﷺ لما رأى العداوةَ الشديدةَ من قومهِ برميهِ في النارِ، فرَّ بدينهِ من الفتنِ وبدينهِ وزوجهِ، ومثلهُ نبيُّ اللهِ موسى لما خافَ القتلَ والبطشَ من فرعونَ وقومهِ خرجَ منها خائفاً يترقبُ، قال تعالى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٢١]، وقال: {فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ٢١].

ولهذا أمرَ اللهُ نبيّهَ محمداً ﷺ أن يهاجرَ من مكةَ إلى المدينةِ لما اشتدَّ به أذى قومهِ، وأجمعوا على قتلهِ.



٣١- المهاجرُ إلى الله لا بدَّ أن تكونَ هجرتهُ وعمله خالصينِ لله

وحده: فهذا إبراهيمُ يقول: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾} [العنكبوت: ٢٦] ويقول: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي

سَيِّهْدِينِ ﴿٩٩﴾} [الصفات: ٩٩]، أي: ما قصدتُ بذلك إلا وجهَ الله.

ولهذا قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا

نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا،

فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

قال الله تعالى: {وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

مُرَافَعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

﴿١٠٠﴾} [النساء: ١٠٠].

٣٢- التوحيدُ ثلاثةُ أقسامٍ باستقراءِ نصوصِ الكتابِ والسنةِ:

توحيدُ الربوبيةِ، والألوهيةِ، والأسماءِ والصفاتِ.

^(١) أخرجه البخاري (١).



وهذا أيضًا يُستفاد من قول إبراهيم عليه السلام: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ} [الصفات: ٩٩]، قوله: {رَبِّي} يتضمَّن توحيد الربوبية بأنَّ الله هو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، هو الخالق الرازق المدبِّر المحيي المميت، ويتضمَّن توحيد الأسماء والصفات، فقد توسَّل إلى الله ودعاه باسمه (الرب) وبصفة الربوبية، وتضمَّن توحيد الألوهية بقوله: {سَيَّهْدِينِ}، فقد دعا الله أن يهديه، والدعاء هو العبادة، وهذا كقول الله تعالى: {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥]. فقوله: {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} اشتمل على توحيد الربوبية، وقوله: {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} اشتمل على توحيد الألوهية، وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} اشتمل على توحيد الأسماء والصفات.

٣٣- وجوب استعانة العبد بربه في القيام بالعبادات والطاعات:
فلن يُوفق إلا من أعانه الله، فهذا إسماعيل يقول: {سَتَجِدُنِي إِنْ



شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [الصفات: ١٠٢] مستعيناً برَّبِّهِ على الصبرِ وطاعةِ أمرِ الله، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ». وَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١).

وكان النبي ﷺ في كل ليلة يدعو في قنوتِ الوترِ ويقول: «اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنَا فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنَا فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ»^(٢).

فلن يهتدي إلا مَنْ هَدَاهُ اللهُ، ولن يعبدَ اللهُ إلا مَنْ أَعَانَهُ اللهُ، {قُلْ إِنَّ الْإِهْدَى هُدَى اللَّهِ} [آل عمران: ٧٣]، {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنْ اللَّهِ} [النحل: ٥٣].

٣٤- الحثُّ على الزواج وطلبِ الذريةِ الصالحةِ وكثرتها: فالزواجُ هو الوسيلةُ الوحيدةُ المشروعةُ لجلبِ الأولادِ بالزوجةِ ومِلِكِ اليمينِ، ففي قولِ إبراهيمَ عليه السلام: {رَبِّ هَبْ لِي مِنْ

(١) مسند الشاميين للطبراني (٣٥٤٠)، حلية الأولياء (١٠ / ٣١).

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٢٢)، والطبراني في الدعاء (٧٣٥).



الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ [الصفات: ١٠٠] حثَّ على الزواج؛ لأنَّه الطريقُ إلى الولد، ولهذا قال سبحانه: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا} ﴿٣﴾ [النساء: ٣].

وقال النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضَى لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»^(١) وقال: «وَاتَزَوَّجِ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢)، وقال: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

٣٥: فضيلة صُحبة الصالحين: فقد حثَّ النبي ﷺ على صُحبة الصالحين، فقال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٣) أخرجه ابو داود (٢٠٥٠)، والبيهقي في الصغرى (٢٣٥١)، وحسنه الألباني.



تَقِيٌّ»^(١)، وقال ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢)، وقال ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٣).

فصحبة أهل الصلاح تعين المرء على ذكر الله وشكره وحسن عبادته والثبات على الحق والهدى، ولهذا قال الله سبحانه: {الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [٦٧] [الزخرف: ٦٧]، وأعظم أنواع الصحبة صحبة الوالد لولده، والولد لوالديه.

٣٦- استحباب البشارة بالمولود: فالله جلّ وعلا بشر إبراهيم بإسماعيل الغلام الحليم، ثم بشره وبشرته الملائكة بالغلام العليم

(١) أخرجه ابو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٨٠٢٨)، والحاكم في المستدرک (٧٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢٨).



إِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٦﴾}

[الصفافات: ١٠١]، وَقَالَ: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَكَبِّرُوا

بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أُمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ

عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

﴿٣٠﴾} [الذاريات: ٢٨-٣٠]، {وَأُمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا

بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٣١﴾} [هود: ٧١].

٣٧- صلاح الآباء ينتفع به الأبناء: وصف الله إبراهيم بأنه حليمٌ

فَقَالَ: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾} [التوبة: ١١٤] فانتفع ولده

إسماعيل بذلك حتى وصفه الله تعالى بقوله: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ

حَلِيمٍ ﴿١٦﴾} [الصفافات: ١٠١].

وإبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً وما كان من المشركين، وهكذا

كان إسماعيل وإسحاق مثل أبيهم في الصلاح والتوحيد والاستقامة

والعلم والحكمة ولزوم الطاعة والدعوة إلى التوحيد.

٣٨- مَنْ لَزِمَ التَّوْحِيدَ وَدَعَا إِلَيْهِ وَفَرَّ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَمِنَ

الْبِدْعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ وَأَهْلِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْرُمُهُ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ



وماله، وبارك له في أولاده يجعلهم صالحين: فهذا إبراهيمُ اعتزلَ قومه بعد إصرارهم على الشرك، فقال الله: {فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا} ﴿٤٩﴾ [مريم: ٤٩-٥٠]، ومن قبل إسحاق وهب الله له إسماعيل وقال عنه: {وَأُذْكِرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

٣٩- الأصل في الأمر أنه للوجوب، وأنه للفور ما لم تأت قرينة تدل على غير ذلك: قال إسماعيل لأبيه: {يَتَأَبَّتْ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ}؛ أي: أنفذ ما أوجبه الله عليك وعلى الفور.

٤٠- إثبات الإرادة والاختيار للعبد في كسبه وفعله: قال الله عن

إبراهيم وإسماعيل: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} ﴿١٣﴾ [الصافات: ١٠٣]

فنسب فعل الاستسلام لإبراهيم وإسماعيل باختيارهما، والتل



للعجيبين لإبراهيم، فالفعل يُنسب إلى الله خلقاً وإيجاداً، وللعبد عملاً واكتساباً، ومثله قوله سبحانه عن موسى: {فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} [الفصل: ١٥]؛ خلافاً لأهل البدع من المعتزلة الجبرية.

٤١ - عظيم فضل ومنزلة نبينا محمد ﷺ عند ربه جلّ وعلا: الله

لم يناده باسمه المجرد، وإنما يناديه بصفة الرسالة والنبوة تعظيماً وإكراماً فيقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ}، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}، {يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ}، {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} ولم يذكر اسمه المجرد إلا في صيغة الإخبار كقوله سبحانه: {تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ}، {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وحتى مع ذكر اسمه المجرد نراه سبحانه يقرئه بوصف النبوة أو الرسالة والإيمان به ﷺ.



٤٢- من رأى في منامه أنه يذبح ولده فليذبح عنه شاة، ومن نذر أن يذبح ولده لزمه ذبح شاة: ومن رأى في منامه أنه يذبح ولده فإنه غالباً مقصّر في حق الولد من جهة التعليم والعناية بحسن التربية ونحو ذلك.

٤٣- الذبيح هو نبي الله إسماعيل وليس إسحاق كما زعمت اليهود والنصارى: وذلك لأن الله تعالى لما ذكر البشارة الأولى بالغلام الحليم ثم ذكر قصة الذبح عطف ذلك بالبشارة الثانية بالابن الثاني إسحاق، وذكره باسمه، فقال سبحانه: {وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١١٢] جزاءً لإبراهيم وشكراً له من الله على صبره وإنفاذه ما أمره الله به، فبارك له في إسماعيل، وأخلف عليه بإسحاق، فدل ذلك على أن إسحاق الذي بشر به بعد قصة الذبيح ليس هو الغلام الحليم الذي أمر بذيحه. قال القرطبي: وسئل أبو سعيد الصري عن الذبيح، فأنشد:



إِنَّ الذَّبِيحَ هُدَيْتَ إِسْمَاعِيلُ * نَطَقَ الْكِتَابُ بِذَاكَ وَالتَّنْزِيلُ

شَرَفٌ بِهِ خَصَّ الْإِلَهُ نَبِيَّنَا * وَآتَى بِهِ التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ

٤٤ - النَّسَبُ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ بِاللَّهِ

وَعَمَلُهُ الصَّالِحُ: فَبَعَدَ ذِكْرَ إِبْرَاهِيمَ وَوَلَدِهِ إِسْحَاقَ قَالَ سُبْحَانَهُ:

{وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}

مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ [الصافات: ١١٣]؛ أَي: مِنْهُمْ الصَّالِحُ الْمُؤْمِنُ، وَمِنْهُمْ الطَّالِحُ

الكَافِرُ الْمُشْرِكُ، وَلَا تَزُرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا

يَتَسَاءَلُونَ} ﴿١١١﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وَقَالَ: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} ﴿٣٤﴾

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، وَقَالَ: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا

وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} ﴿١٩﴾ [الأنفطار: ١٩]

٤٥ - اللَّهُ شَاكِرٌ شَكُورٌ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ: ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ

وَلَدِهِ، وَابْتَلَى إِسْمَاعِيلَ بِالْأَمْرِ بِذَبْحِهِ، فَامْتَثَلَا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَضَحَّى



إبراهيمُ بولدهِ اللهَ وهَمَّ بذبحه، وضَحَّى إسماعيلُ بنفسِه اللهُ، واستسلمَ لأمرِ ربِّه، فجازاهُما اللهُ خيرَ الجزاءِ على هذهِ الطاعةِ والاستسلامِ الكاملِ لأمرِ الله، وعلى تقديمِ محبةِ الله على كلِّ محبةٍ، ففدى اللهُ الولدَ إسماعيلَ بِذبحِ عظيمٍ، وباركَ له في حياته وعمره ونسله ورزقه وعلمه وجعله رسولاً نبياً، وأثنى عليه الثناء العطر، ووهبه من نسله أمةً عظيمةً ملأتِ السهلَ والجبلَ، وجعلَ سيِّدَ ولدِ آدمَ من نسله وختمَ به النبيينَ والمرسلينَ، ما زالَ نسلُه باقياً إلى يومِ القيامةِ.

وإبراهيمُ ﷺ قد طيَّبَ اللهُ قلبه بنجاةِ ولدهِ من القتلِ وفداءِ ولدهِ بالذَّبْحِ العظيمِ، وبولدِ آخرَ، وهو إسحاقُ، وجعله اللهُ خليلاً له سبحانه، وجعلَ النبوةَ في ذريته وباركَ فيه وفي إسحاقَ، وجعلَ منهمُ النسلَ العظيمَ والأمةَ الكبيرةَ بني إسرائيلَ بنَ إسحاقَ، وأمرَ اللهُ العالمَ كُلَّهُ أن يتَّبَعَ مِلَّتَهُ، وأن يقتديَ به، وأمرَ اللهُ بمحبتهِ والثناءِ عليه والصلاةِ عليه في كلِّ صلاةٍ، وغيرِ الصلاةِ إلى يومِ الدينِ، فقال:

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١٢٠)



شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١]. وَقَالَ: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾} [مريم: ٤١]. وَأَمَرْنَا أَنْ نَقُولَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». وَقَالَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٢﴾} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٣﴾} [مريم: ٥٤-٥٥].

فَمَعَ غِنَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ خَلْقِهِ، وَمَعَ أَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الطَّائِعِينَ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ الْعَاصِينَ، إِلَّا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غُفُورٌ شَكُورٌ، شَاكِرٌ عَلِيمٌ، فَهُوَ الشَّاكِرُ الشَّكُورُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ يَجَازِيهِمْ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ الْجَزَاءِ الْأَوْفَى وَيُعْطِي عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، فَهُوَ الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

٤٦ - اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَتْلِي الْمُؤْمِنَ بِالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ لِيَخْلَصَهُ لَهُ، وَيَصْنِفِي قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ وَحَدَهُ، فَيَكُونُ قَلْبُهُ سَلِيمًا مُخْلِصًا وَيَنَالُ مَرْتَبَةَ الْمَحَبَةِ الْعَالِيَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى: فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ لَمَّا رُزِقَ بِالْوَلَدِ،



وتعلّق قلبه بمحبّته شيئاً ما، ابتلاه الله؛ ليصفّي قلبه لمحبّته سبحانه
وحده ليلبغ درجة الخلّة، التي هي أعلى درجات المحبة، فأمر
بذبح الولد، فاستجاب واستسلم هو والولد، وقدم كل منهما محبة
الله على كل محبة، فهنا يتحقّق المراد، فنسخ الله الأمر بالذبح
وفدى الولد بذبح عظيم، وبارك فيه وفي ذريته إلى يوم الدين،
ومنحه إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وجعل جميع الأنبياء
من بعدهم من نسله وذريته، وقد ينفر الله عن العبد من حوله
ويغضّهم فيه؛ ليصفّيه لمحبّته، ويخلص قلبه له وحده سبحانه.

٤٧ - كل شيء في هذه الدنيا يهون في سبيل نيل محبة الله

ورضاه: فأبراهيم هان عليه ولده الله، وإسماعيل هانت عليه نفسه
الله، ومحمد وأصحابه هانت عليهم الدنيا بما فيها لنيل رضوان الله،
قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ
لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ
حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَأَسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {١٦١}



[التوبة: ١١١]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣].

٤٨- وجوبُ برِّ الأبناءِ للآباءِ في طاعةِ الله: ومن أرادَ أن يعلمَ
كيفيةَ ذلكَ فليقتدِ بنبيِّ الله إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلامُ.

٤٩- حسنُ عاقبةِ منِ امتثلَ أوامرَ الله: فهذا إبراهيمُ وإسماعيلُ
لما امتثلا أمرَ الله ﷻ جعلَهُما من ساداتِ الدنيا والآخرة.

٥٠- معنى «تَلَّهَ للجبين»: عن ابنِ عباسٍ ؓ في قوله تعالى:
{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيُ} [الصفات: ١٠٢]، شَبَّ حَتَّى بَلَغَ سَعْيُهُ سَعْيَ
إبراهيمَ في العملِ، فلما أسلما ما أُمِرا به وتَلَّهَ للجبين: وضعَ وجهَهُ
إلى الأرضِ، فقال: لا تذبحني وأنتَ تنظرُ عسى أن ترحمني فلا
تُجهزَ عليَّ، اربط يديَّ إلى رقبتي، ثمَّ ضعْ وجهي إلى الأرضِ،
فلما أدخلَ يده؛ ليذبحه فلم يحكَّ المِديَّةَ حتى نُودِيَ:



{يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾}

[الصفات: ١٠٤-١٠٥] فَأَمْسَكَ يَدَهُ وَرُفِعَ، فَذَاكَ قَوْلُهُ: {وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ

عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾} [الصفات: ١٠٧] بِكَبْشٍ عَظِيمٍ مُتَقَبَّلٍ.

وعن مجاهد بن جبر أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}:

قَالَ: وَضَعَ وَجْهَهُ لِلأَرْضِ، قَالَ: لَا تَذْبَحْنِي وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى وَجْهِي، عَسَى أَنْ تَرْحَمَنِي فَلَا تُجْهِزْ عَلَيَّ، وَارْبِطْ يَدَيَّ إِلَى رِقْبَتِي، ثُمَّ ضَعُ وَجْهِي لِلأَرْضِ.

وعن ابن عباسٍ ؓ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ؑ لَمَّا أَمَرَ بِالْمَنَاسِكِ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَسْعَى، فَسَابَقَهُ فَسَبَقَهُ إِبْرَاهِيمُ ؑ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جَبْرِيلُ ؑ إِلَى جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى ذَهَبَ، وَعَرَضَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوَسْطَى، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ حَتَّى ذَهَبَ، ثُمَّ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَعَلَى إِسْمَاعِيلَ قَمِيصٌ أَيْضٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَهْ، إِنَّهُ لَيْسَ قَمِيصٌ فَكُفِّنِي فِيهِ، وَالتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ ؑ، فَإِذَا هُوَ بِكَبْشٍ أَعْيَنَ أَيْضٌ أَقْرَنَ، فَذَبَحَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ جَبْرِيلُ ؑ إِلَى الْجَمْرَةِ الْقَصْوَى، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ



حتى ذهب، ثم ذهب به إلى منى، فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب به إلى عرفة.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم!

آمين آمين!



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٨	المبحث الأول: الآيات الواردة في القصة في القرآن العظيم
١٣	المبحث الثاني: المعنى الإجمالي للقصة وأحداثها
١٩	المبحث الثالث: الدروس والعبر والفوائد من القصة
١٩	حفظ الله ونصره لعباده الموحدين
٢٠	قوة يقين المؤمن بربه وحسن ظنه بالله
٢٠	أن من ضيق عليه في أرض فإنه يهاجر منها لغيرها
٢٢	من اعتزل الشرك وأهله، والبدعة وأهلها، والمعصية وأهلها، جعل الله له من كل هم فرجاً
٢٢	جواز تمنى الولد والذرية، ذكوراً كانوا أو إناثاً، وأن يكونوا صالحين
٢٣	أثر الدعاء في صلاح الأبناء
٢٦	فضل الدعاء
٢٨	وجوب اهتمام وعناية الآباء بصلاح الأبناء بالتربية الطيبة على منهج الله ورسوله



- ٢٩ الولد بشرى من الله ومحض هبة من الله
- ٣٠ فضل صفة الحلم
- ٣١ استشارة الآباء للأبناء من هدي المرسلين
- ٣٢ مشاورة الأكابر لمن دونهم من هدي القرآن والسنة
- ٣٢ وجوب رحمة الآباء بالأبناء في الخطاب والتعامل والتربية
- ٣٥ وجوب إحسان الأبناء للآباء وتوقييرهم لهم
- ٣٦ اعمل ما شئت، فكما تدين تُدان
- ٣٧ رؤيا الأنبياء وحي
- ٣٨ فضل تقديم المشيئة في كل شيء
- ٤٠ فضيلة الصبر على البلاء
- ٤١ وجوب الانقياد والتسليم والرضا لأحكام الله وأوامره
- ٤٣ التخلص من الصوارف عن طاعة الله
- ٤٤ جواز نسخ الحكم قبل التمكن من الفعل
- ٤٦ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون
- ٤٨ المنحة بعد المحنة، والفرج بعد الشدة
- ٤٩ التزام الطاعة له أعظم الأثر في النجاة من المهالك، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء



القول المليح من فوائد قصة الذبيح الذبيح العظيم

- ٥٠ منزلة نبي الله إبراهيم عند ربه، وثناء ربه عليه، وإبقاؤه
لذكره ومحبة الأمم له
- ٥٣ رجم الشياطين يكون بالتزام طاعة الله ورسوله
- ٥٤ معنى التضحية
- ٥٤ وجوب الهجرة من دار الشرك والكفر إلى دار التوحيد
والإيمان
- ٥٦ مشروعية الهجرة والفرار من المكان الذي يكثر فيه
الأعداء
- ٥٧ المهاجر إلى الله لا بد أن تكون هجرته وعمله خالصين لله
وحده
- ٥٧ التوحيد ثلاثة أقسام باستقراء نصوص الكتاب والسنة
- ٥٨ وجوب استعانة العبد بربه في القيام بالعبادات والطاعات
- ٥٩ الحث على الزواج وطلب الذرية الصالحة وكثرتها
- ٦٠ فضيلة صُحبة الصالحين
- ٦١ استحباب البشارة بالمولود
- ٦٢ صلاح الآباء ينتفع به الأبناء
- ٦٢ من لزم التوحيد ودعا إليه وفر من الشرك وأهله ومن



- البدعة والمعصية وأهلها، فإنَّ الله يكرمه
 ٦٣ الأصل في الأمرِ أَنَّهُ للوجوبِ
 ٦٣ إثباتُ الإرادةِ والاختيارِ للعبدِ في كسبهِ وفعلهِ
 ٦٤ عظيمُ فضلِ ومنزلةِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ عندَ ربِّه جلَّ وعلا
 ٦٥ من رأى في منامه أَنَّهُ يذبحُ ولدهُ فليذبحْ عنه شاةً، ومن نذرَ
 أَن يذبحَ ولدهُ لزمه ذبحُ شاةٍ
 ٦٥ الذبيحُ هوَ نبيُّ اللهِ إسماعيلُ
 ٦٦ النسبُ لا ينفعُ صاحبه يومَ القيامةِ، وإنما ينفعُه إيمانهُ باللهِ
 وعمله الصالحُ
 ٦٦ اللهُ شاكِرٌ شكورٌ غنيٌّ عنِ العالمينَ
 ٦٨ اللهُ جلَّ وعلا يبتلي المؤمنَ بالبلاءِ الشديدِ ليخلصهُ له،
 ويصفِّي قلبه لمحبتهِ وحدَه
 ٦٩ كلُّ شيءٍ في هذه الدنيا يهونُ في سبيلِ نيلِ محبةِ اللهِ ورضاهُ
 ٧٠ وجوبُ برِّ الأبناءِ للأبائِ في طاعةِ اللهِ
 ٧٠ حسنُ عاقبةِ من امتثلَ أوامرَ اللهِ

